بريد الجمعة

ثراء المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجُمُعَة ■ ٢٤ مايو ٢٠٠٢ ■

يكتبه: عبدالوهاب مطاوع

الورقة الأخيرة !

الجأ إليك في هذه المرحلة الدقيقة في حياتي، لأني على وشك تقرير مصيري وأرجو أن تساعدني على اتخاذ القرار الصائب. فلقد نشأت في بيت هادئ، من بيوتنا المصرية بين أب حنون وأم معطاءة وأخوة وأخوات معظمهم انتهى من تعليمهم الجامعي واستقر معظمهم نفسيا واجتماعيا وعائليا. أما أنا فلقد كنت متفوقة في دراستي ولقد انتهيت من دراستي الجامعية منذ عدة سنوات وتطلعت أولاً للسفر إلى إحدى الدول العربية كما يسافر الشباب للعمل هناك، وبالفعل سافرت الى دولة خليجية وتسلمت عملي هناك وبعد عام واحد وعن طريق إحدى الأسر الصديقة تعرفت على شاب يعمل في نفس الدولة في مركز مرموق فجذب انتباهي خاصة وانه كان اول تجربة لي مع شاب حيث اني كنت ارى طول حياتي أن اى علاقة بين شاب وفتاة هي نوع من الاستهتار البعيد عن الطريق القويم وتفاهمنا على الزواج وتزوجنا في أول اجازة لنا بمصر ورجعنا مباشرة من اجازة العسل إلى عملنا في الدولة الخليجية ووجدت زوجي في الأسابيع الأولى من الزواج يتمتع بكثير من الخصال الجميلة فهو كريم ومهذب وهادئ، وحنون ويحبني بشدة، فأحببته كثيرا، ولكني لاحظت خلال هذه الأسابيع بعض الملاحظات الغريبة، فلقد كنت اشم فيه رائحة غريبة عند عودته إلى المنزل وألاحظ تغييراً في شكل عينيه خاصة عندما يعود متأخراً في المساء، وخجلت في أول الأمر من سؤاله عن هذه الملاحظات ثم بعد فترة قليلة عرفت الحقيقة التي اذهلتني وهزت كياني، إذ تأكدت من أن زوجي يشرب الخمر وبمعنى ادق سكير ومدمن للخمر، وبعد اكتشافي لهذه الحقيقة المرة بدأ يحضر الخمر معه الى المنزل ويأتي بأصدقائه للمنزل لتناول الشراب معه ولا استطيع ان اصف لك ماذا كانت تفعل الخمر به.. فلقد كانت تذهب عقله تماما فيأتي بأفعال مشينة تصل به الى الصراخ والسب وتكسير محتويات المنزل، بالاضافة لما يحدث من تغير في شكله وتصرفاته وعدم قدرته على السيطرة على نفسه حتى كان الحال يصل به أحيانا إلى التبول اللاإرادي وفي أي مكان !

فعانيت معه الكثير والكثير.. ولست تتصور حجم المعاناة حين تعايش إنساناً مدمناً للخمر وهو في حالة السكر الشديد ويرغم العناء الشديد فقد حاولت كثيراً إصلاحه ومساعدته على الاقلاع عن هذا الشيء المشين وأن أقف بجانبه، وأحسن من وضعه بين الأصدقاء والمعارف في الغربة خاصة أنني كنت قد حملت منه، ثم رزقت بطفلة جميلة شجعني وجودها على المحاولة مرات ومرات ولكني لم أقلع للأسف في إقناعه بالتخلص من هذا الإدمان القاتل خاصة أنه غير مقتنع بأن هذا مرض ممكن الشفاء منه.

ومضت بنا السنوات حتى رجعنا إلى بلدنا وقد شجعته على العودة السريعة عسى أن يتمكن في مصر من التخلص من الخمر اللعينة عندما نكون بين الأهل ونظراً لأن العائد المادي للغربة كان ضعيفا جدا لاستنزاف معظم مواردنا في الحصول على اغلى انواع الخمر التي تعود عليها ولكن هيهات أن يتحقق ماحلمت به فقد استمر الحال كما هو في مصر أيضا ولم يتخل عن هذه الأنواع الغالية فشعرنا بالرغم من دخلنا المعقول جداً بضيق مادي الى جانب حزني واكتئابي الشديد لما آل إليه حاله من استعباد هذه الزجاجة الكريهة له.

وحاولت معه كثيراً تارة بالصياح وتارة بالخصام وبترك البيت وتارة بالحوار الهادي، عندما يكون في حالته الطبيعية ولا فائدة. ومع ذلك لم اخبر أحدا من اهلي عن تفاصيل مشاكلي معه، وبعد سنة واحدة من رجوعنا من الغربة لاحت لي فرصة عمل من جديد في دولة عربية أخرى فوجدتها فرصة لأبتعد عنه واتركه لنفسه عسى أن يراجع موقفه ويستفيق مما هو فيه وتركت طفلتي عند أختي الكبيرة التي لم تنجب حيث وجدت عندها الرعاية التامة وسافرت الى عملي الجديد ومكثت عاماً كاملاً ورجعت في أول اجازة لأجده كما تركته مازال عبداً للشراب ومهملاً لعمله، وصدمت صدمة كبيرة حين وجدته على نفس الحال وشعرت أنه لافائدة معه بتاتاً، فتركت المنزل وقضيت بقية الأجازة في بيت الأسرة وخيرته بيني وبين الخمر وتركت له أن يختار وسافرت بعد انقضاء الاجازة راجعة إلى عملي ومنذ ذلك الحين لم أنق طعم النوم المريح الهادئ، لأني أشعر أن حياتي تضيع مني وان استمرار الوضع على ماهو عليه سيؤدي بي إلى كارثة نفسية واجتماعية لأني امرأة واريد أن استمتع بالدفء الأسري مع رجل يحيطني بحبه وحنانه ولا استطيع ان أعيش بمفردي هكذا في الغربة بعيداً عن ابنتي الحبيبة وأريد العودة إلى وطني وابنتي، لكني من ناحية أخرى لا استطيع ان أتكيف مع أحوال زوجي هذه ولا اقبل بالعودة لما عانيته من قبل من عذاب .. فهل استطيع ان انفصل عنه وابدأ حياة جديدة مع اطفالي بعيدة عن [illegible] وبيته.. أم أتنازل من أجل طفلتي وأتحمل وأعود إلى زوجي وأنا أعلم علم اليقين ان المشكلة الأساسية التي بيننا لم تحل وغالبا لن تحل ؟ إنه يتصل بي عدة مرات اسبوعيا ويحاول الضغط عليّ للعودة إليه، ولكن دون أن يصرح بأنه سيترك الخمر ويطلق الإدمان. وكل مايقوله لي هو أنه يحتاج إليّ وأن طفلتنا تحتاج للحياة بيننا ودون أن يشير بأي كلمة إلى الخمر حتى أنه في إحدى اتصالاته شعرت بأنه كان يتحدث الي وهو ثمل.. إنني أريد أن أحسم امري وانجو بحياتي من هذه الأمواج والعواصف وأريد كذلك أن أجنب ابنتي كل سوء، قد ينالها بسبب مابيني وبين ابيها الآن من خلاف خاصة أنها قد بدأت تعي وتشعر بما يدور حولها وبدأت تسأل عني وعنه.. انني أرجو أن ترد على قبل عودتي في أجازة هذا العام التي اقترب لكي اتخلص من حيرتي واحسم أمري.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كانت لدى زوجك فرصة كافية لإثبات رغبته في مجاهدة نفسه والإقلاع عن هذه الآفة المخزية طوال فترة اغترابك الثانية وافتراقك عنه.. حتى ولو تطلبت محاولاته للاقلاع عن الخمر ان يدخل مصحة يتلقى فيها علاجا منتظما .. ويقسو على نفسه حتى يبرأ من الإدمان الكحولي المدمر للشخصية والمعنويات والإرادة. ولكنه لم يبذل قطرة عرق واحدة للأسف على طريق النجاة وإصلاح الحال ويبدو مستسلما لآفته الخطيرة بلا مقاومة وبلا أية رغبة في التحرر منها والنجاة..

ولأن الحديث معه عن الجانب الديني من المسألة لا يجدي شيئا كثيرا فيما اتصور.. فلسوف اقتصر في حديثي معك على الجوانب الأخرى، واقول لك إنك محقة في التردد بين العودة إليه والانفصال عنه لمثل هذا السبب الجوهري الذي يسقط اعتباره ويفقده أهليته كزوج وأب لطفلته.. حتى لقد ذهب اكثر الفقهاء إلى عدم الاعتداد بطلاقه إن هو طلق زوجته وهو سكران واعتبروه ممائلاً لطلاق المعتوه الذي لا يؤخذ به [illegible] يقتضي أن نقول كذلك إن انفصالك عنه وإن كان عقابا عادلا له على تدهوره الى هذا الحضيض.. إلا انه يصيب بالضرر البليغ في نفس الوقت طفلة بريئة لا جريرة لها فيما فعل ابوها بنفسه، وسوف يحرمها من حقها المشروع في النشأة الطبيعية بين ابوين يتعاونان على رعايتها والبر بها.. لهذا فإن الأوفق هو أن تواصلي استخدام ورقة الضغط الأخيرة عليه هذه لكي يصلح من شانه ويستعيد جدارته بان يكون ابا صالحا لهذه الطفلة وزوجا راعيا ومحبوبا لك، وذلك بالربط بين عودتك إليه سواء بقيت لفترة اخرى في الغربة او رجعت على الفور الى بلادك، وبين مايبديه من نية صادقة لطلب العلاج من الإدمان الكحولي اللعين ومايبذله من خطوات جادة على هذا الطريق.. ومايحققه من تقدم إيجابي نحو هذا الهدف ولا مفر من ذلك ولا بديل، فالمهمة الخائرة تحتاج دائما الى شحذها بالضغوط الدافعة او بالترغيب في الجوائز المأمولة..

وليس هناك من دافع لهمة الإنسان اقوى من الخوف من فقد الأعزاء وانهيار الأسرة والحرمان من نشأة اطفاله تحت جناحيه، وليس هناك من جوائز الثمن من جائزة السعادة العائلية والوفاق الزوجي واستمتاع الأبوين معا بمراقبة أطفالهما الصغار وهم يكبرون تحت ناظريهما وفي رعايتهما وتحت مظلة حبهما وحدبهما عليهم. فضعي الحقيقة عارية امامه على هذا النحو: إما العلاج من إدمان الخمر مهما تكن المعاناة والإقلاع عنه بمساعدتك وتشجيعك له، واما الوحدة.. والضياع والانهيار وفقد الزوجة المحبة والابنة العطوف، والحرمان من الحياة العائلية الدافئة والمستقرة وليكن الخيار خياره هو لنفسه وطفلته وأسرته وليس خيارك انت لانك في حقيقة الأمر لا تملكين الخيار في حين يملكه هو، فانت ترغبين بصدق في استعادة الحياة الأسرية الدافئة ورعاية طفلتكما معا في جو صحي سليم وليس في مثل هذا الجو الموبوء السابق.. فان اختار الهلاك لنفسه فلا لوم عليك فيما تفعلين حين ترجعين الى بلدك ولا تعودين الى زوجك المستسلم لآفته بلا مقاومة وإن اختار الحياة الآمنة الكريمة لنفسه وزوجته وطفلته فلقد انقذ الجميع من الضياع واثبت جدارته باستعادتك لك ولطفلته واسرته الصغيرة، وحق عليك ان تفي بوعدك له بالعودة إليه بلا تحفظات وان تخلصي له الود والحب والاحترام بعد أن جاهد بصدق للاحتفاظ بك [illegible] من آفته .

والمؤمنون ، كما يقول لنا الحديث الشريف ، عند شروطهم إلا شرطا احل حراما أو حرم حلالا.